مهاجرو الجزائر بفرنسا و القضية الوطنية

(مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بباريس أنموذجا)

د. جراية محمد رشدي

أستاذ محاضر أ

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

med.rouchdi@gmail.com

ملخص:

يعتبر التاريخ بأفراحه و أتراحه ذاكرة للأمم ، و الشعب الجزائري على غرار غيره يتمتع بذاكرة جليّة سجلت ما ألم به من عذاب و هوان على يد الإدارة الإستعمارية الفرنسية التي حاولت بكل ما أوتيت من قوة طمس مقوماته وإخماد و طنيته ، لكنها لم تفلح رغم إشتداد جرائمها على إثر قيام الثورة التحريرية المظفرة، و يأتي على رأسها جرائم الإبادة الأكثر تميزا التي تعرض لها العمال الجزائريون على الأراضي الفرنسية و في العاصمة باريس نفسها على إثر مظاهرات 17 أكتوبر 1961 السلمية و التي كانت تعبيرا صادقا على وعي المهاجرين الجزائريين بقضية شعبهم العادلة ، و تعبيرا عن نضجهم السياسي الصادق مما تطلب منهم نضالا مستميتا و شجاعة نادرة التي حولها موريس بابون محافظ شرطة باريس (ملفه طافح بالجرائم) الى مذبحة و جريمة ضد الإنسانية.

Résumé:

Considérons l' histoire comme la mémoire des nations, et le peuple algérien, comme d'autres a une mémoire brillante enregistré ce que la douleur de la peine aux mains de l'administration coloniale, les Français ont tenté au mieux de la puissance d'effacer ses composantes et de la suppression et de patriotisme, mais n'a pas réussi malgré l'intensification de crimes Après la révolution éditoriale triomphant, et est dirigé par le génocide le plus exclusif subi par les travailleurs algériens sur le territoire français et à Paris même, à la suite des manifestations pacifiques le 17 octobre1961 et ce fut une véritable réflexion sur la prise de conscience des immigrés algériens juste cause de leur peuple, et l'expression de véritable maturité politique que de leur demander de lutter désespérément et le courage rare autour de Maurice Papon gouverneur de police de Paris (son volumineux dossier est plein de crimes) au massacre et un crime contre l'humanité .

الكلمـات المفتاحيـة: الثـورة التحريريـة، نهـر السـين ببـاريس، المهـاجرين الجزائـريين، مظـاهرات17 أكتوبر 1961، فيدرالية جتهة التحرير الوطني، مظاهرات سلمية ، موريس بابون ، شـهداء الجزائر ، إغراق المتظاهرين ، جرائم ضد الإنسانية، الإعتذار الفرنسي.

مقدمة.

لكـي نسـتطيع أن نلـم بملابسـات أحـداث17 أكتـوبر 1961 ببـاريس لابـد أن نـأتي الأمـر مـن أولـه و نعرف الهجرة و نتعرف على ظروف حياة المهاجرين و منـاخ كفاح ونضـال المهاجرين الجزائريين بباريس من بداياته.

1/- تعريف الهجرة:

لغة: من هاجر يهاجر مهاجرة وهجرة و يتفرع مدلولها هذا الى معنيين،أحدهما هو الترك و القطع و الإهمال لشيء ، و ثانيهما هو مطلق الخروج من أرض الى أخرى.[i]

إصطلاحا: هي إنتقال الإنسان من موطنه الأصلي و بيئته المحلية الى وطن آخر ، بإرادته أو بغير إرادته ، و تكون على نحو دائم أو مؤقت.[ii]

2/- الهجرة الجزائرية نحو فرنسا.

إثر إنتهاء الحرب العالمية الأولى أي بعد سنة 1918 بدأ الجزائريون يتهاطلون على العمل في فرنسا حيث إستقروا في البدء بباريس في مقرات لاغوت دور (la goutte d'Or) في الحي (18)، ثم على طول شارع محطة القطار في الحي (13) و بعض الأزقة في الحي (5) و حي (14) و بإنتهاء الحرب العالمية الثانية (1939-1945) التي كان و قودها الشباب الجزائري، ولأجل إعادة بناء الإقتصاد الفرنسي الذي حطمته الحرب تم إستدعاء اليد العاملة الجزائرية للعمل في قطاع البناء و المصانع.[iii]

2/-1- أسبابها:

هي أسباب كثيرة و متنوعة منها السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و حتى الثقافية و يمكننا إجمالها في ما يلي :

- تجريد الكثير من الفلاحين الجزائريين من أراضيهم عن طريق المصادرة وغيرها.[iv]
- الغرامات العقابية و الإلتزامات الضريبية مما ضيق ظروف الحياة و جعلها صعبة للغاية.[v]
- إنعدام التصنيع بالجزائر و إنخفاض أجور العمال الجزائريين. [vi]
- الرغبة في رفع مستوى الدخل و تحسين المستوى الإجتماعي.[vii]

– تطبيق القوانين الإستثنائية التعسفية على الجزائريين.[viii]

– التجنيد الإجباري 1912 و تشجيع تطوع الجزائريين في الجيش الفرنسي.[ix]

– إختلاط الثقافتين الفرنسية و الجزائرية.[x]

و بما أن أزمة السكن كانت حادة فقد سكن المهاجرون الجزائريون الأحياء القصديرية خارج محيط المدينة بنونتيير (Nanterre) فكانوا يبنونها بأنفسهم حيث شروط الحياة العادية منعدمة فلا كهرباء و لا ماء و لا مجاري صحية و لا طريق معبد يصل الى مثل هاته الأحياء ،[xi] و غداة إندلاع الثورة التحريرية الجزائرية كان يعيش في فرنسا ما يزيد عن 211000 جزائري، ما يربو عن نصفهم يقطن حواف باريس و ضواحيها.

ففي نونتيير(Nanterre) على بعد أربعة كلم من غابة بولوني سنة 1950 كان يعيش 18000 جزائري منهم 10000 في أحياء قصديرية. [xii]

و من أهم المناطق المهاجر إليها من قبل الجزائريين في فرنسا نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1– سانت إيتيان : أغلب المهاجرين إليها من بلاد القبائل و بوسعادة و قسنطينة و باتنة يعملون في مصانع الفولاذ و النسيج، نسبة كبيرة منهم كانوا رفقة عائلاتهم .

2– أما غرونوبل : فأغلب المهاجرين إليها من سطيف و قسنطينة و البويرة و منطقة البيبان.

3– ليون (Lyon) : االمهاجرين إليها كانوا من مناطق عدة بإعتبارها نقطة إستقطاب (الأوراس ، بلاد القبائل) حيث عملوا في مصانع الغذاء و الكيمياويات و الميكانيك. [xiii]

2/2 إندلاع الثورة المسلحة:

إندلعت الثورة الجزائرية في 01 نوفمبر 1954 بقيادة جبهة التحرير الوطني التي آلت على نفسها قيادة العمل المسلح ضد الإستعمار الفرنسي الغاشم حتى تحقيق الإنتصار و الظفر بإسترجاع السيادة و الإستقلال.

لقد إتحدت العديد من التنظيمات و التيارات و إنصهرت كلها في بوتقة واحدة هي الجبهة التي قادت بدورها هذه الحرب على عدة أصعدة و محاور حيث أتخذت وسيلة حرب العصابات في الجبال نظرا لما يمتلكه العدو من عدة و عتاد خاصة سلاح الطيران ، و أعتمدت الجبهة التفجير و التفخيخ و حرب الشوارع في المدن الكبيرة الآهلة بالسكان خاصة بالعاصمة ،كذلك أعتمدت الوسائل السياسية كالتمثيل في المحافل الدولية و المؤتمرات العالمية و النقابات و المنظمات الطلابية و إستخدام سلاح الإعلام السمعي

و المكتوب لبتقي تواصلها مع جميع شرائح الشعب الجزائري و الجماهير العريضة المساندة لقضيتها العادلة في العالمين العربي و الإسلامي وحتى الدولي .

و في الحقيقة من الوهلة الأولى لإندلاع حرب التحرير ارتأت قيادة الثورة بأن فتح جبهة جديدة على التراب الفرنسي و ذلك بنقل الحرب الى فرنسا نفسها أمر ضروري حتى يشتد الضغط على العدو و يزداد إحساسه بالخطر الذي تشكله هذه الثورة مما قد يعجل بقبوله لمبدأ حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره.[xiv]

2/-3- فتح الجبهة الثانية فوق التراب الفرنسي.

ناضلت الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر منذ حزب نجم شمال إفريقيا و الى غاية الإستقلال، فقد عانوا و ناضلوا على جبهتين ، الأولى جبهة كسب القوت أي العمل ضد الإستغلال و العنصرية و القهر، و الثانية النضال السياسي الهادف الى إستقلال الجزائر.

تلقى العمال الجزائريون المهاجرون بفرنسا الروح الوطنية عن طريق المحاضرات التي كان يلقيها الأمير خالد عام 1924 بباريس ، و قد عمل مصالي فيما بعد على تطويرها مع مناضلي حزب نجم شمال إفريقيا الذي حل في 26 جانفي 1937 ، لكن سرعان ما عاود الظهور في 11 مارس 1937 تحت إسم حزب الشعب الجزائري (PPA) و الذي حل أيضا في 26 سبتمبر 1939.[xv]

و لما أطلق سراح مصالي من السجن في 11 أوت 1946 أي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية هاجر الى فرنسا ((... و لما كانت المعركة قد أصبحت سياسية و تجري في الجزائر نقص دور المهاجرين لحساب الناخبين الجزائريين في هذا الوقت بالذات ظهرت الى الوجود فيدرالية فرنسا التابعة لحركة الإنتصار للحريات الديمقراطية ، و الحقيقة أن الفيدرالية جهاز خارجي فلم تتمتع بوزن و قوة نجم شمال إفريقيا...[xvi]))

و إنضوى أغلب المهاجرين في تلك المرحلة تحت لواء قيادة مصالي الى غاية الثورة ، و في سنة 1955 أسس مصالي الحركة الوطنية الجزائرية (MNA) المناهضة لجبهة التحرير الوطني المؤسسة في سنة 1954 و ذلك بعد الإنقسام الذي عرفته حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية (MTLD) سنة 1953، و التي عملت فيما بعد(MNA) على ضرب جبهة التحرير الوطني و زعزعة إستقرارها في فرنسا و بالتالي القضاء على الدعم المالي (أي التمويل) الذي يقدمه المغتربون للثورة في شكل إشتراكات بفرنسا حيث قدر عدد الجزائريين سنة 1961 في مقاطعة السين لوحدها بـــ(150000) شخص [xvii]، و في الأخير و بعد صراع مرير و صعوبات جمة تعرضت لها الجبهة إستطاعت إنشاء فيدرالية خاصة بها هي (فيدرالية جبهة التحرير الوطني) بفرنسا.

و بعد نشوب الصراع بين جناح المركزيين و جناح مصالي الحاج و إنقسام حركة الإنتصار للحريات الديمقراطية ،و إستعاد مصالي الحاج عمليا السيطرة على فيدرالية فرنسا كلها ما عدا بعض أعضاء اللجنة و بعض المسؤوليين المحليين للحزب الذين بقوا يترقبون مجرى الأمور و هؤلاء القلة سيكونون فيما بعد النواة الأولى لجبهة التحرير بفرنسا.[xviii]

و إحتدم الصراع بين أنصار كلا التنظيمين و الذي إنتهى في الأخير بإنتصار جبهة التحرير الوطني الذي كان وقوده أبناء الجزائر من كلا الطرفين .[xix]

و الحقيقة أن أسباب فتح جبهة أخرى فوق التراب الفرنسي تعود في الأساس الى:

- التخفيف من ضغط الإستعمار على الشعب الجزائري.
- الإعتراف بقوة الثورة و قدرتها على الصمود.

و لهذا أرسلت لجنة التنسيق و التنفيذ عمر بوداود الى فرنسا لفتح جبهة ثانية في فرنسا التي تقرر فتحها رسميا، يوم 25 جويلية 1958 ، من قبل فيدرالية جبهة التحرير الوطني و قامت بأعمال فدائية عديدة و متنوعة مثل حرق مخازن الوقود وأعمال تخريبية متنوعة ،و تصفية الخونة و العملاء و رجال الشرطة الفرنسية منها محاولة إغتيال وزير الإعلام جاك سوستيل ، حيث فتحت النيران على سيارته فأخترقت رصاصة لباسه لكنه نجا.

و قدرت حصيلة الأعمال التي قام بها الفدائيون الجزائريون ضد المؤسسات الفرنسية الإقتصادية و العسكرية بفرنسا بحوالي :

- 56 عملية تخريب.
- ضرب 181 هدف عسكري و إقتصادي.
- مقتل 82 شخص أغلبهم من رجال الشرطة.

و لقد أمرت الفيدرالية بتعليق كامل نشاطها الفدائي في 05 جويلية 1961 لإعتبارات عديدة و كثيرة لايسعنا المجال هنا للإتيان على ذكرها.[xx]

3/- مظاهرات 17 أكتوبر 1961:

3/-1 أسبابها: نشرت محافظة شرطة باريس بيانا تعلن فيه حظر التجول على المهاجرين الجزائريين أي (الفرنسيين المسلمين الجزائريين)، إبتداءا من 08 سبتمبر قصد إيقاف الأعمال الإرهابية

(من وجهة النظر الفرنسية) أي الجهادية التي يقوم بها فدائيوا جبهة التحرير الوطني، و لهذا منع عنهم التنقل و الحركة بدءا من الساعة الثامنة و النصف مساءا الى الخامسة و النصف صباحا.

فإلى غاية 07 سبتمبر 1961 ما يقارب 120 جزائري تم ترحيلهم الى أريافهم بالجزائر ما بين ليلتي 07 و 08 سبتمبر، 643 جزائري تم إقتيادهم الى فانسين (vincennes) ، ثم 630 في ليلة 08 سبتمبر لوحدها و هكذا سيبقى الحال في الأسابيع الموالية.

و من الجرائم التي و قعت للجزائريين قبل أحداث أكتوبر 1961 نذكر في الدائرة 17، أحرق جزائريون بسبب صب الشرطة للبنزين على أجسامهم كذلك صدمت سيارة جزائري بشاحنة في حادث مرور عادي و وتم نقله الى المستشفى على سيارة الشرطة و لقد أكتشف الطبيب أن سبب الوفاة رصاصة في الرأس ، ناهيك عن إغراق الجزائريين في نهر السين و شنقهم في غابة فانسيين، أو ضربهم بأداة صلبة على رؤوسهم فيموتون.

و لإقناع المترددين من رجال الشرطة الخائفين من العقاب فقد منحهم محافظ الشرطة بابون الضمانات الكافية " ... سوّوا مع الجزائريين بأنفسكم ، و مهما حدث فإنكم محاطون بالحماية..."[xxi]

كما صرحت مصادر رسمية بأنه خلال شهري أوت و سبتمبر 31000 شخص تمت مراقبتهم في باريس و ضواحيها، بينما تم إقتياد 19375 شخص الى فانسين (vincennes) و 500 تم ترحيلهم الى أريافهم بالجزائر.[xxii]

لقد حاولت مصالح روجي فيري وزير الداخلية الفرنسي و محافظ شرطته موريس بابون أن تقنع الناس بأن مناضلي الجبهة إرهابيون و قتلة و لهذا و بهدف إيقاف التصرفات الإجرامية تقرر إتخاذ إجراءات سنأتي على ذكرها تهدف الي إفشال العمل الثوري و إعاقته.[xxiii]

والحقيقة أن محافظ شرطة باريس موريس بابون الذي تم تعيينه في هذا المنصب منذ 1958 تقديرا لخبرته الإجرامية في التعامل مع الجزائريين في (قسنطينة) بالجزائر ، حيث كان مطلوب منه القضاء على نشاط الجزائريين في باريس و ضواحيها و هذا ما أعطاه الضوء الأخضر لمضايقتهم و تعذيبهم[xxiv] فجلب لهذا الغرض أعدادا كبيرة من الحركة الجزائريين، و الى جانب إصداره لحضر التجول في 08 سبتمبر فإنه أصدر قرارا آخر فرض فيه على أصحاب المقاهي و المطاعم من الجزائريين إغلاقها إبتداءا من الساعة السابعة مساء[xxv]، و طالبت وزارة الداخلية يوم 13 أكتوبر 1961 من التجمع الوطني تبرير حضر التجول.[xxvi]

3/-2 تطورها:

رأى أعضاء الفيدرالية أن حضر التجوال الذي فرضته الداخلية الفرنسية و غلق المطاعم و المقاهي التي يرتادها الجزائريون ستقضي على جميع الإتصالات على مستوى القاعدة النضالية و بالتالي يعرقل أهداف جبهة التحرير الوطني و من ثم فإن سياسة الأيدي المكتوفة ستقود كفاح الجزائريين بفرنسا الى الى الإنتحار.

إجتمعت فيدرالية جبهة التحرير لدراسة هذا الوضع في 10 أكتوبر و درست التقارير التي تلقتها في 07 أكتوبر و بعد تحليل الوضعية قررت الإتحادية الرد عبر منشور يوزع على نطاق واسع مما جاء فيه:[xxvii]

- مقاطعة الجزائريين لحضر التجول و ضرورة التظاهر جماعيا إبتداء من 14 أكتوبر رجالا و نساءا و أطفالا.

- يتم السير في الشوارع الباريسية الرئيسية ، مثل الشانزيليزي و سان ميشيل.

- إغلاق التجار الجزائريين لمحلاتهم لمدة 24 ساعة كتعبير منهم على إعتراضهم على حضر التجول.[xxviii]

و يؤكد المهاجر آنذاك عبد القادر بن عمر(دلوله) أن المظاهرات كانت مقررة يوم 14 أكتوبر 1961 لكن تقرر بعد ذلك تغيّيرها الى يوم 17 أكتوبر 1961 لأن التاريخ الأول يصادف السبت و هو يوم عطلة عند الفرنسيين.[xxix]

ترى بعض الشهادات بأنه نزل يوم الثلاثاء 17 أكتوبر 1961 حوالي 30000 جزائري الى شوارع باريس في مظاهرة سلمية طافت بشوارع (أوبيرا،بون نوفال، و سان ميشيل، و جسر نوبي ، و كوربفوا ، و ليتوال... و غيرها)،و لقد تدفق آلاف العمال الجزائريين مع عائلاتهم و أطفالهم من مدن الضواحي للإنضمام الى المسيرة السلمية. [xxx]

و إنضم للمظاهرات حتى النساء و الأطفال و حتى بعض الفرنسيين المحبين للسلام كما إنتشرت في المناطق الستة حيث التواجد الجزائري و السيطرة الفعلية للفيدرالية أما أشهر المحتشدات التي خصصتها السلطات الفرنسية للجزائريين داخل التراب الفرنسي نذكر منها : سان موريس لوزاك – لردواز... إلخ.[xxxi]

بينما يرى المجاهد علي هارون بأنه على خلاصة تقارير رؤساء الولايات فإن مسؤول التنظيم يقدر بأن خمسين ألف شخص جندوا للتظاهر السلمي في باريس لوحدها و هذا دون حساب عشرات الآلاف الذين أوقفوا في حواجز الشرطة بالضواحي و لم يصلوا الى نقطة التجمع.

ومن الأماكن التي دخلوا منها و تظاهروا فيها ناحية الأوبرا ، ساحة إيتوال ، تون نوفال ، الكونكورد ،جسر نوبيي، لقد مرّ خمسون ألف جزائري من هاته الأبواب التي أغلقها بابون.[xxxii]

لقد حولت شرطة المحافظ (موريس بابون) و ووزير الداخلية (روجي فراي) المسيرة الى مجزرة رهيبة،

راح ضحيتها حوالي 200 شهيد و إعتقال 1200 متظاهر ، و جرح 2300 آخرين. [xxxiii]

و ما أن بدأت الشعارات و الصيحات تدوي في شوارع باريس و ضواحيها حتى واجهتها السلطات بكل قسوة رغم سلميتها مستعملة كل أنواع الردع بما فيها الذخيرة الحية ، و سالت دماء الجزائريين ، و بعد تفريق المتظاهرين بدأت الاعتقالات بين صفوفهم و محاكمتهم محاكمات غير عادلة ، هذا إن لم نقل محاكمات جائرة و شرعت الشرطة السرية في مداهمة المهاجرين محاولة منها كشف المنظمة السرية و تفكيكها ، و بالتالي ضرب جبهة التحرير الوطني في الصميم .

و أكد المجاهد محمد غفير المدعو "موح كليشي" إستنادا إلى تقارير مؤرخين فرنسيين أن نهر السين شهد مقتل مناضلين جزائريين قبل أحداث 17 أكتوبر 1961 ، وأكد المجاهد خلال منتدى يومية ديكا نيوز أن "جزائريين قتلوا في نهر السين قبل أحداث 17 أكتوبر 1961 مثلما تؤكده الإختفاءات العديدة لمناضلين لم يعثر أبدا على أثرهم قبل هذا التاريخ و أكدته كذلك تقارير مؤرخين فرنسيين".

وذكر المتدخل بالأحداث الهامة التي سبقت هذا التاريخ منها "إضراب 8 أيام" سنة 1957 الذي شهد مقتل أول شهيدعلى أيدي المصاليين الذين حاولوا إجهاض هذه المبادرة. كما ذكر وقف إطلاق النار المفروض على الجزائريين من قبل الحكومة الفرنسية في الفاتح من سبتمبر 1958 مما أدى إلى قمع الجزائريين من قبل الشرطة الفرنسية، و أشار المجاهد إلى أن "موريس بابون" قد أحضر من قسنطينة لتطهير باريس من جبهة التحرير الوطني" مذكرا بأن شهري أغسطس و سبتمبر 1961 شهدا أعمال عنف أدت إلى اغتيالات أخرى في حق الجزائريين.

كما تحدث غفير عن الأحداث التي ميزت شهر أكتوبر قبل وقوع المجازر منها فرض وقف إطلاق نار آخر على الجزائريين ابتداء من 6 أكتوبر. و ذكر السيد غفير بأن 300.000 عامل جزائري بفرنسا لبوا نداء جبهة التحرير الوطني بعدم الذهاب إلى العمل مما أدى إلى إحداث "شلل" في البلاد، و أشار إلى أن أحداث 17 أكتوبر 1961 لم تكن مجرد "حركة شعبية" وإنما "معركة باريسية" ، مستندا في ذلك لتقارير المؤرخ جون لوك اينودي ، مضيفا أن "العالم كله كانت له دراية بهذه المجازر" التي تناولها العديد من المؤلفين الأجانب. [xxxiv]

3/-3 قائمة بأسماء بعض شهداء المظاهرات:

إسم الشهيد	طريقة الوفاة	تاريخ وفاته
عبادو عبد القادر	غريق	-

عبادو لخضر	غريق	61/10/17
عثمان لعمارة	مقتول	61/10/17
آيت العربي	مقتول	61/10/17
إرحاب بلعيد	مقتول	61/10/18
بلقاسمي عاشور	مقتول	61/10/18
بوشادو لخضر	غريق	أنتشلت جثته من السين في 61/10/21
دراويسي مقران	مقتول	61/10/17
قرناب براهيم	مقتول	61/10/18
حوباد لخضر	غريق	61/10/17
تلمساني قندوز	مقتول	61/10/17

المرجع: Anne Tristan,le Silence du fleuve, p 148.

و بالتالي فإنها حلقة من حلقات نضال هذا الشعب و عكست مدى وعي و نضج الجالية الجزائرية المهاجرة بمصير وطنها ، و أن المطالبة بالاستقلال و العمل علي تحقيقه بكل الطرق ، السلمية منها أو العسكرية و ما هذه المظاهرات في حد ذاتها إلاّ تعبير صادق عن قوة و إيمان الجالية المهاجرة بحتمية ثورة نوفمبر و تحديا كبيرا لأعتى قوة استعمارية.[xxxv]

3/-4 شهادات الصحافة الفرنسية عن الأحداث:

<< ... من بين ما كتبته جريدة (ليبراسيون) في اليوم الموالي للأحداث أي 18 أكتوبر 1961 :

... في ساحة إيتوال وفي أماكن على الرصيف أحيطت بحواجز معدنية تستعمل في الحفلات، أوقف آلاف الأشخاص متراصين داخلها بعضهم ببعض و البعض الآخر ملتصق مطأطئين رؤوسهم وأيديهم فوقها تتوالى عليهم الضربات بلا إنقطاع، و لا أحد من الجزائريين كان يرد، وفي (فاغرام) كانت ثلاثون امرأة وشابة مع الأطفال يائسات يصرخن بالعربية أو الفرنسية.

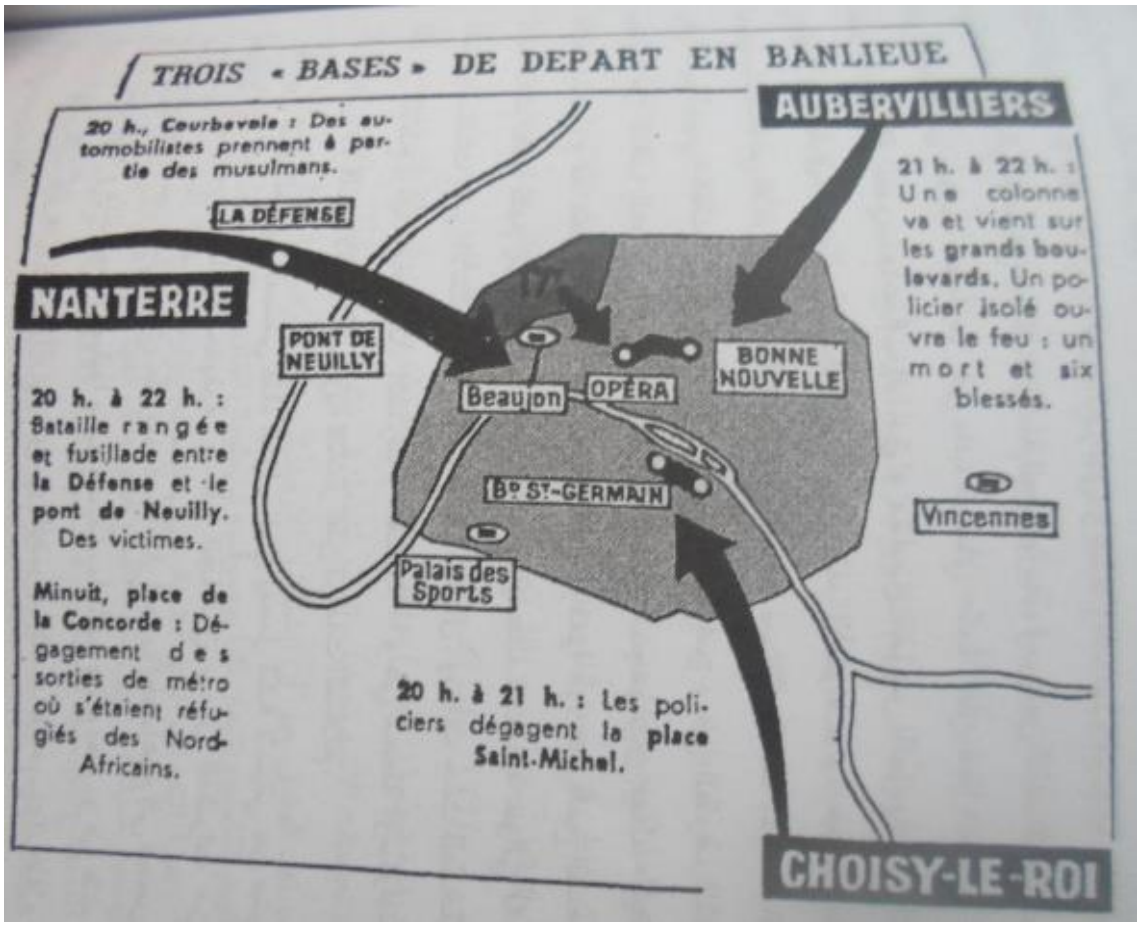

– الضواحي التي إنطلق منها الجزائريون الى أماكن التظاهر –

المرجع: علي هارون ، الولاية السابعة ، ص 488.

ويبدو أن قادة المظاهرت خلال هذا الاستعراض في الشوارع الكبرى أرادوا تجنب كل عنف، فعند المرور أمام المقاهي نصحوا أصحابها بإخلاء الرصيف من الطاولات وان لايخشوا شيئا، لكن في شارع (بون نوفال) حدثت المأساة، كان ضمن السيارات المتوقفة في الشارع عربة شرطة فارغة ولم تستطع الرجوع إلى الوراء، وكان السائق وحيدا أمام المقود.

وقد شهد محققوا جريدة (فرانس سوار) رغم أنهم غير مؤيدين للجزائريين، على واحدة من الحلقات الدرامية جدا لهذا المساء و الأكثر دلالة أيضا وهي إطلاق النار في شارع (بون نوفان وهنري بينيولي وميشال غروس سبينتيلي)، طوابير جديدة من المسلمين نزلت من (مونمارتتر)، وصل الجميع إلى (ريشيليودر)حيث سمعت صفارات الشرطة المتحركة فاتحة الطريق لقوافل العربات التي جلبت على متنها مئات و آلاف المتظاهرين الذين أوقفوا.[xxxvi]

وروى شاهد فقال: رأيت السائق ينزل من مقعده شاحبا، حاملا مسدسه في يده، وخوفا من الحشد الصارخ المتقدم نحوه صرخ :سأطلق النار على أول من يتقدم، واصل المتظاهرون التقدم بلا خوف ، فأطلق الشرطي رصاصتين في الهواء ثم على المتظاهرين ،عند سماع صوت الرصاص أسرع رجال الشرطة واضعين الخوذات وعلى صدورهم الصدريات الواقية وأطلقوا بدورهم حوالي 20 طلقة، هرب شماليو إفريقيا في جميع الاتجاهات ولجأو إلى ممرات البنايات، كسر زجاج محل للحلوى ونهب ونهبت كذلك شرفة مؤسسة رياضية وواجهة محل لبيع القمصان ، وبقي 7 رجال على الرصيف مصابين بجراح خطيرة، توفي واحد منهم.[xxxvii]

في هذا المساء برهن رجال الشرطة على تسرع مفرط ، وقد كتب صحافي آخر :أقل حركات رجال الشرطة كانت تنم عن الحقد وقد أفرط الجميع في التسرع ، وكانوا عند مرورهم يضربون الرجال بدلا من وضعهم في الاتجاه المطلوب و ينعتونهم بصفات الخسة والدناءة و صغار الفئران ...>>[xxxviii]

3/- 5 الإعتذار الفرنسي المتأخر:

إنخرط الكثير من أهالي (نونتيير) منذ التسعينات في أعمال تحسيسية تخص تاريخهم المحلي أي تقيّيد الذاكرة الجماعية للأحداث التي سجلتها مدينتهم (المقاومة، الإعتقالات، أحياء الصفيح، و مظاهرات 17 أكتوبر 1961...الخ) كما أمضى أكثر من 500 شخص في بداية سنة 2003 نداء عريضة وطنية << ... أعطوا نونتيير مكانها في الذاكرة بتسجيل أحداث17 أكتوبر 1961...>> و هي تتداول عبر الأنترنيت إذ تعتبر مواصلة للنداء الوطني المعلن من قبل جمعية 17 أكتوبر 1961 ضد النسيان.

تجمع المئات في 17 أكتوبر2003 حول جاكلين فريس النائبة في البرلمان و رئيسة بلدية نونتيير في المكان المقابل لمقر ولاية لاهوت دي سين (des Hautes de –Seine) حيث أزالوا الستار عن لوحة تذكارية أقيمت للضحايا الجزائريين الذين أغرقوا في نهر السين.[xxxix]

أعلن الحزب الإشتراكي الفرنسي يوم الإثنين الموافق لـ 2012/10/15 عن إعترافه الرسمي بالقمع الدموي الذي تعرض له المتظاهرون أبناء الطبقة العاملة الجزائرية و التي نجم عنها العديد من القتلى ، كما سبق لفرانسوا هولاند ان حيا سنة 2011 هؤلاء الشهداء بمناسبة مرور 50 سنة على الأحداث السوداء في تاريخ الذاكرة الفرنسية، حيث جعلها بعد ذلك ضمن إحدى بنود حملته الإنتخابية للرئاسيات.[xl]

و هكذا أوفى بعهده فقد حيا فرانسوا هولاند مجددا بعد توليه شؤون الحكم في فرنسا يوم الإربعاء 2012/10/17 أرواح قتلى هذه الأحداث الأليمة بباريس حيث قال بلسانه <<... بعد مضي 51 سنة عن هذه التراجيديا أحيي ذكرى هؤلاء الضحايا...>> [xli] و يعتبر هذا أول إعتراف بالأحداث يصدر عن شخصية فرنسية رفيعة المستوى مثلها رئيس الدولة الفرنسية ذاته فرانسوا هولاند. [xlii]

كما صرح وزير المجاهدين الجزائري طيب زيتوني ببجاية على هامش الاحتفالات المخلدة ليوم الهجرة أن"قمع مظاهرات ال17 أكتوبر 1961 بباريس تعد "جريمة في حق الإنسانية"، وأضاف الوزير أن "التعذيب والإعدام والإغراق الجماعي للجزائريين في نهر السين تعد من 'أبشع الجرائم في حق الإنسانية" ، ودعا المؤرخين والباحثين للنظر والدراسة في هذه الجرائم و التي حسبه –" لم تكشف بعد كل أسرارها، لاسيما ما تعلق بالقمع الوحشي والانتهاكات" التي تعرض لها المناضلون بشكل خاص و الجالية الوطنية المقيمة بفرنسا بشكل عام.

ومع ذلك فقد شكل هذا الحدث التاريخي يقول الوزير– "محطة هامة "في مسار الثورة التحريرية المظفرة ، حيث سمحت بتعزيز الجبهة الداخلية وتثمين إصرار الشعب على الاستمرار في الكفاح المسلح ، إلى جانب الصدى الكبير الذي أحدثته القضية الوطنية لدى الرأي العام الفرنسي والدولية ، كما زعزعت هذه المظاهرات غير المتوقعة الإدارة الفرنسية المستعمرة التي فاجأتها التعبئة ومستوى الوعي والتنظيم وإنضباط الجالية الجزائرية المقيمة بترابها يضيف الوزير الذي أشار إلى ضرورة تخليد الذكرى"حتى لا ننسى" . وقال أن "17 أكتوبر هو درس في الوطنية...يحب الاستلهام منه".[xliii]

– خاتمة.

لقد كانت مظاهرات 17 أكتوبر منظمة ومعدة من طرف فدرالية جبهة التحرير الوطني ، إذ تعد بمثابة دفع قوي للثورة خارج حدودها الإقليمية ، و برهنت علي مدى قوة الترابط العفوي بين أبناء الجزائر في الداخل و الخارج .

حيث خرج عشرون ألف من المهاجرين الجزائرين ليلة 17 أكتوبر 1961 في مظاهرة سلمية شارك فيها حتى النساء و الأطفال ضد قانون حضر التجول ليلا الذي فرضه عليهم محافظ شرطة باريس موريس بابون في 05 أكتوبر 1961 ، في محاولة منه لشل نشاط المناضلين الجزائريين إلا أن الشرطة الفرنسية حولتها من مظاهرة سلمية الى مذبحة شنيعة، أستشهد فيها حوال 200 أغلبهم تم رميهم أحياء في نهر السين فهلكوا غرقا، و جرح 2300، و أعتقل 1200 آخرون، و بهذا أعتبرت هذه المذبحة إحدى الصفحات الخالدة للمقاومة الجزائرية ضد الإستعمار الفرنسي.

و هكذا لعبت جاليتنا في فرنسا بصفة خاصة و أوربا عامة دورا بطوليا تحت قيادة جبهة التحرير الوطني, حيث عاش أفرادها من رجال ونساء مرارة الحرب من تعذيب وتقتيل وتنكيل وسجن بالوسائل الجهنمية وهو لا يقل أهمية عن كفاح إخوانهم بأرض الوطن.

و يستحضر الجزائريون الأحداث الأليمة التي مر عليها أكثر من 50 عام في ظل تنامي حركة تنديد واسعة بهذه الجرائم حتى في فرنسا نفسها كما يطالب الجزائريون كذلك بحرية الإطلاع على الأرشيف

الفرنسي في إطار فرنسي وجزائري و دولي، حتى يتم الكشف على الحقائق المطموسة من قبل دوائر الإستعمار.

و في النهاية الا تستحق مجزرة 17 أكتوبر 1961 تمجيدا و قد خلدها الفرنسيون بإقامة لوحة تذكارية في ساحة سان ميشيل ،حيث سجلت أسماء شهدائها كما صدرت كتب عدة تؤرخ لهذه المجزرة الرهيبة، إن حجم ما كتب عن هاته الأحداث في بلادنا يبقى ضئيلا و غير كاف مقارنة بالمهرجانات و الإحتفالات المخلدة لهذه الذكرى الأليمة.

الهوامش:

i . محمد بن عبد الكريم، حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، ش.و.ن.و، الجزائر ، 1981، ص 19.

ii . كمال فيلالي و آخرون، سيسيولوجية الهجرة الجزائرية في التاريخ ، على هامش أعمال الملتقى العلمي الأول لمخبر الدراسات و الأبحاث الإجتماعية التاريخية حول الهجرة و الرحلة، قسنطينة ، 2009، ص 171.

iii _ Anne Tristan,le Silence du fleuve (Octobre 1961),EDIF,Bezons,2000,pp 9-14.

iv _ T.Belloula,...Les Mégration Algérienne en France, Edition Nationales Alger,1965,pp 17-18.

v _ أحميده أعميراوي، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث،دار الهدى ، عين مليلة ، 2004، ص 154.

vi _ عبد الحميد زوزو،الدور السياسي للهجرة الى فرنسا بين الحربين 1914-1939، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2007، ص 42.

vii _ عمار بوحوش، العمال الجزائريون في فرنسا،ش..و.ن.و، الجزائر ، 1979،ص 12.

viii _ G.Hanotau,Histoire des colonies francaises, t2 . l'Algerie, librairie plom societé de l'histoire nationale, Paris ,1930,pp 487-488.

ix _ شارل روبير أجيرون ، الجزائريون المسلمون و فرنسا، (1871- 1919)،ج2، دار الرائد للكتابة،الجزائر ،2007،ص 741.

x _ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930) ش.و.ن.و ، الجزائر ، 1983،ص ص 126-127.

xi _ Gérard Perreau-Bezouille,introduction ,dans (Mémoires algériennes),*SYLLEPSE*,Paris,2004, p 10.

[xii] _ Anne Tristan, Op cit ,pp 14-15.

[xiii] _ أبو بكر الصديق حميدي ،أصول الهجرة الجزائرية و توزيعها بفرنسا و التأثير الإصلاحي في أوساطها، مجلة الباحث ، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر ، العدد 11، جويلية ديسمبر 2014، ص ، 345.

[xiv] _ بوعلام بن حمودة، الثورة الجزائرية (معالمها الأساسية)،دار النعمان للطباعة و النشر، الجزائر،ط 2، 2014 ، ص – ص ، 157- 170.

[xv] _ علي هارون، الولاية السابعة (حرب جبهة التحرير الوطني داخل التراب الفرنسي 1954- 1962) تذييل محمد بوضياف،ترجمة الصادق عماري و مصطفى ماضي،الجزائر، دار القصبة للنشر، 2013، ص ص 16، 19.

[xvi] _ نفسه ، ص 19.

[xvii] _ massacre du 17 octobre 1961,[En ligne], http://www.larousse.fr/encyclopedie/divers/massacre_du_17_octobre_1961/185837.(14/04/2016).

[xviii] _ علي هارون، مرجع سابق، ص 19.

[xix] _ سعدي بزيان ، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 أكتوبر 1961، الجزائر ، منشورات ثالة 2009، ص ص 09- 10.

[xx] _ سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة أول نوفمبر 1954، منشورات ثالة ، الجزائر 2009، ط2، ص ص 36- 47.

[xxi] _ علي هارون، مرجع سابق، ص- ص 472-473.

[xxii] _ J.L.Einqudi,La Bataille de Paris 17 Octobre1961,Media –plus;Algerie,1994 , pp 80-81.

[xxiii] _ علي هارون ، مرجع سابق، ص 474.

[xxiv] _ صالح فركوس،تاريخ الجزائر(من ما قبل التاريخ الى غاية الإستقلال)،دار العلوم ،عنابة،2005، ص 460.

[xxv] _ سعدي بزيان، المرجع السابق، ص ص 51-52.

[xxvi] _ J.L.Einqudi,Op cit, p87.

[xxvii] _ علي هارون ، مرجع سابق ، ص 476.

[xxviii] _ سعدي بزيان ، جرائم موريس بابون ضد المهاجرين الجزائريين في 17 أكتوبر 1961، الجزائر ، مرجع سابق، ص ص 87-88..

[xxix] _ المجاهد عبد القادر بن عمر، أحد المشاركين في الأحداث، محاضرة حول أحداث 17 أكتوبر 1961، ثانوية مفدي زكرياء بالبياضة ولاية الوادي ، يوم 17 أكتوبر 2006 ، من الساعة 3 الى 5 مساءا.

[xxx] _ سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة أول نوفمبر1954، مرجع سابق، ص ص54- 55.

[xxxi] _ صالح مختاري حزب جبهة التحرير الوطني يزلزل فرنسا بمظاهرات 17 أكتوبر 1961 ,[En ligne] http://amaltilimsan.3oloum.org/t5210-topic#ixzz0myTUdFla .(14/07/2012).

[xxxii] _ علي هارون، مرجع سابق، ص 476.

[xxxiii] _ سعدي بزيان، دور الطبقة العاملة الجزائرية في المهجر في ثورة أول نوفمبر1954، المرجع السابق، ص ص54-55.

[xxxiv] _المجاهد محمد غفير ، حديث صحفي للإذاعة الوطنية 2014/10/17، ,[En ligne] http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20141017/16809.html، 2014/10/17.

[xxxv] _ صالح مختاري حزب جبهة التحرير الوطني يزلزل فرنسا بمظاهرات 17 أكتوبر 1961 ,[En ligne] http://amaltilimsan.3oloum.org/t5210-topic#ixzz0myTUdFla .(14/07/2012).

[xxxvi] _ علي هارون ، مرجع سابق ، ص 477.

[xxxvii] _ نفسه ، ص 477.

[xxxviii] _ نفسه ، ص478.

[xxxix] _ Gérard Perreau-Bezouille,introduction ,dans (Mémoires algériennes),*SYLLEPSE*,Paris,2004,p 10.

[xl]_ Hollande reconnaît la répression du 17 octobre 1961, critiques à droite [En ligne], http://www.lemonde.fr/societe/article/2012/10/17/francois-hollande-reconnait-la-sanglante-repression-du-17-octobre-1961_1776918_3224.html(17.10.2012).

[xli]_ Guillaume Perrault, 17 octobre 1961 : Hollande fait repentance [En ligne], http://www.lefigaro.fr/politique/2012/10/17/01002-20121017ARTFIG00747-17-octobre-1961-hollande-fait-repentance.php(17.10.2012).

[xlii]_ Cinquante et un ans après les manifestations violemment réprimées à Paris, le chef de l'État déclare que "la République reconnaît avec lucidité ces faits". [En ligne], http://www.lepoint.fr/societe/17-octobre-1961-hollande-reconnait-une-repression-sanglante-17-10-2012-1517948_23.php(17.10.2012).

[xliii] _ طيب زيتوني (وزير المجاهدين الجزائري)،القمع الفرنسي لمظاهرات 17أكتوبر 1961)، حديث صحفي للإذاعة الوطنية 2014/10/17، ,[En ligne] http://www.radioalgerie.dz/news/ar/article/20141017/16809.html، 2014/10/17. **09:25**